الخِدمة

الجزء الثاني

ملخص:

الفصل الأول – في بناء الخادم

الفصل الثاني – في عثرات الخادم

الفصل الثالث – الضرائب المستحقة على الخادم

الفصل الرابع – أفراح الخادم

الفصل الأول

في بناء الخادم

١ - دعوتان وبناءان:

في الكنيسة دعوتان، دعوة للرهبنة ودعوة للكهنوت والخدمة.

والدعوتان بالرغم من أهما شهادة واحدة للمسيح وتطبيق مباشر لوصايا الرب، إلا أن لكل منهما منهجاً معيَّناً في الحياة والسلوك والصلاة وبقية الواجبات.

فالمدعو للرهبنة عليه أن يبني قلبه وفكره وكل حياته على سيرة الآباء القديسين، واضعاً أمام عينيه باستمرار **وصيتهم الأولى والعظمى أن يبتعد عن العالم والرئاسات، وأن لا تستهويه الخدمة بين الناس مهما كانت الإلحاحات**، وهكذا عليه أن يتمسك بتعاليمهم تمسكاً لا هوادة فيه، وإلا فسوف يجد نفسه في النهاية راهباً بلا رهبنة يعيش تحت اسمها ولا يحمل نيرها، يتكلم باسمها وهو غريب عن دعوها.

والمدعو للكهنوت والخدمة بين الناس يبني قلبه وفكره وكل حياته على سيرة الرسل القديسين، **واضعاً أمام عينيه باستمرار سيرهم في الجهاد المتواصل لخدمة المؤمنين ليلاً وهاراً، في وقت مناسب وغير مناسب**، وما يلزم لذلك من قطع المشيئة والتنازل الكامل عن كل الحقوق الشخصية، والأمنيات، والأحلام التي تتعارض مع جهاد الخدمة، حتى ما بدا منها صالحاً في حد ذاته، كالاستغراق في الوحدة والبعد عن الناس والعزوف عن الكلام، إلا إذا كان بالقدر الذي يزيد الخدمة قوة ونجاحاً، أي أن يكون ذلك لا بدافع مجرد استرضاء النفس، بل لإصلاح

عجزها، وبالنهاية لزيادة كفاءها للخدمة.

والذي ينبغي أن يتضح أمام أصحاب الدعوتين أنه **كما يُحارَب الراهب بحب الخدمة، يُحارَب الكاهن والخادم بحب الوحدة، وكلا الحربين هما إلحاح من اللاشعور للهروب من الواقع**؛ وذلك إنما يكون بسبب إخفاقات عارضة لا ينبغي أن ينهزم الإنسان أمامها؛ إذ بمجرد أن يتشدد الإنسان بالله ويقف أمامه مجدِّداً عهده متشجعاً بالأمثلة الحية التي سبقته، فإنه يُقبِل على دعوته بغيرة ونشاط ويعود فيرى فيها كل راحته وسلامه وإكليله.

غير أن نوع القراءة والتأمل والدراسة التي ينشغل بها أصحاب الدعوتين لها تأثير مباشر وقوي، فهي إما تزيد الإنسان تمسكاً بدعوته كما تزيده كفاءة في تأدية واجباها، وإما تتسبب في خلخلتها وإضعاف قيمتها في نظره شيئاً فشيئاً، ثم توحي إليه أخيراً بالاستهانة بواجباها.

فالراهب الذي يهمل القراءة والتأمل في سير الآباء ووصاياهم، وينشغل **فقط** بدراسة الإنجيل وحفظ الآيات، تبتدئ روحه تفتر من جهة دعوته ووحدته، ثم تُشاغله أحلام اليقظة بالخدمة فيتصور نفسه واعظاً ومخلِّصاً للناس. وقليلاً قليلاً لا يعود يطيق ديره أو وحدته، وقليلاً قليلاً أيضاً يخترع لنفسه المعاذير للنـــزول إلى العالم، أو يخترع له اللاشعور من الأمراض والتخاويف ما يقنعه للإسراع في النـــزول تاركاً دعوته وراء ظهره.

أما الكاهن أو الخادم الذي كرس حياته لخدمة الإنجيل، إن هو أهمل التأدب بكلمة الإنجيل ولم يجلس لها كل يوم ساهراً فاتحاً كل قلبه وذهنه لإرشادها وتعليمها، وانشغل عنها أكثر من اللازم بأخبار المتوحدين

والرهبان ومعجزاتهم ووحدتهم وهدوئهم، فإنه إزاء تعب الخدمة وشقائها يبتدئ يشتهي حياة المتوحدين فيبتدئ يتغنى بدعوتهم وسيرتهم ويغبط سلوكهم وحكمتهم، وقليلاً قليلاً تغمره موجات يائسة من حياة الخدمة. ثم يبتدئ يشك في دعوته كأنها غير مناسبة له، أو كأن الله ظلمه بهذا النير الثقيل لأنه مخلوق لأن يكون راهباً - كما يصور له اللاشعور - فينطلق لسانه بالتذمر وتبتدئ رجلاه تسرعان إلى الأديرة فيزداد تمزقه وتزداد حيرته. وكل مرة يرجع فيها من الدير يتصور الخدمة أنها فخ سقط فيه أو سجن وشقاء، والسبب أنه ابتدأ يبني برج حياته وفضائله وتقواه ليطل على الصحراء، واحتفظ بظهره للكنيسة المسكينة.

ليس هذا معناه أن لا يتثقف الراهب بكلمة الإنجيل كل يوم وبكل عمق وإخلاص، ولا أن يمتنع الكاهن وخادم الإنجيل أن يتربى تحت أقدام الآباء وتعاليمهم وعفتهم وزهدهم، ولكن **على الراهب أن يجعل من الكلمة نوراً للسيرة الرهبانية الزاهدة المتعففة؛ وعلى الكاهن أن يجعل من سيرة الآباء وزهدهم برهاناً لصدق الكلمة التي يخدمها** ويبشر بها، ومشجعاً له وللذين يجاهدون معه للشهادة في وسط العالم ضد العالم!

٢- نظرتان في الخدمة متلازمتان:

الأولى: نظرة الخادم نحو الله الذي يمده بالقوة للخدمة.

والثانية: نظرة الخادم نحو ضعفه الذي يكتشفه في نفسه كل يوم.

هاتان النظرتان ولو أنهما متعارضتان شكلاً، إلا أنهما منسجمتان انسجاماً كلياً، ونقول «كلياً» لأن الانسجام هنا هو في الواقع بين قوة الله وضعف الإنسان، فهو انسجام طبيعي ولاهوتي معاً؛ حتى أن الله نفسه يتطلب تلازمهما «لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (٢كو ١٢: ٩). والذي

يكمل هنا هو قوة الله وليس ضعف الإنسان، حيث يظل الضعف ضعفاً كما هو!!

فالكاهن أو الخادم إن هو أكثر من النظر إلى ضعفه، وتغاضى بنوع من الخداع النفساني عن النظر إلى قوة الله التي يخدم بها ويخدم تحت سلطانها وتدبيرها، فإن توازنه يختل ويسقط تحت نفسه! وهذا يأتي بسبب صغر النفس، وذلك من عدم تجلي الإيمان في القلب على أساس عمل الدم الإلهي، وعدم ازدهار الرجاء في النفس على أساس القيامة التي أخذناها حقاً أبدياً لنا.

كذلك إذا أكثر الكاهن أو الخادم من النظر إلى قوة الله متغاضياً عن حقيقة ضعفه وخطاياه، فإنه يتجبر ويتصلف ويدَّعي الألوهة، حيث لا يعيده إلى موقعه الحقيقي إلا سقطة أو انكسار علني يكشف له حقيقة ضعفه!

على أننا نود لو نوضح أكثر، الفرق بين نظرة الخادم نحو الضعف الصحيح أو التواضع الصحي الذي لا يؤذي النفس ولا يسيء إلى الإيمان، الذي يزيد الخدمة قوة وكرامة ومجداً لحساب المسيح، وبين **نظرة الضعف اليائس أو التواضع المريض الذي تشمله الكآبة وصغر النفس**[٢] **الذي يلغي عمل الإيمان ويضعضع الخدمة، وينعكس على**

---

(٢) وهنا ينبغي أن نحذِّر كل إنسان من التمادي في اكتشاف عثراته وهفواته أو الاستغراق في فحص خطاياه وتفرعاتها والتهويل في اتهام نفسه بالخطايا الجسيمة، لأن ذلك ينبه اللاشعور ويزيد من ثقل الضمير، الأمر الذي ينتهي حتماً بخلل في التوازن العصبي والفكري، ويعرِّض الإنسان للسقوط في أعراض لأمراض عصبية يتعذر شفاؤها، بل ربما يستحيل ذلك.

أما المنهج المسيحي الروحاني الأصيل في مواجهة الخطايا فهو يعتمد أساساً على تأنيب الروح القدس لضمير الإنسان بدون افتعال: «ومتى جاء ذاك (الروح القدس) يبكت العالم على خطية» (يو

بقية الحاشية أسفل الصفحة التالية

الرعية فيثبط من همتها ويحط من شجاعتها!

والفرق بين الاثنين هام وخطير، فنظرة الضعف الحقيقي إلى أنفسنا لا تلغي الإحساس بقوة الله بل تزيدها فاعلية. أما نظرة الضعف اليائس النفساني، فإنها تلغي الإحساس بقوة الله ولا تعطيها فرصة للعمل!

أي أن الضعف والتواضع الحقيقي يزكيان عمل قوة الله في الخادم وفي الخدمة، وهذا يزيد الخدمة نجاحاً لحساب الله. أما الضعف والتواضع المريض فقد يزكي الإنسان أمام بعض الناس، ولكنه يفقده قوة الله فتنحط الخدمة وتنحط الروح المعنوية للرعية.

لذلك، ليس من صالح الخدمة أن يُظهر الكاهن أو الخادم ضعفه للرعية ويتغنى بضعفاته بمناسبة وغير مناسبة. **يكفي أن يكون الإنسان متضعاً بالعمل لا بالكلام**، فكل كاهن أو خادم يُظهر ضعفه لرعيته يخطئ خطأين:

الأول بكونه يستجدي بذلك عطفهم أو مديحهم،

والثاني بأنه يُحزنهم ويحط من ثقتهم بالله ويحطم من مَثلهم الحي الذي يقتدون به.

فالكاهن أو الخادم لا يكرز بنفسه حتى يكشف لهم ضعف نفسه، بل هو يكرز بالمسيح، فعليه بالضرورة أن يكشف لهم قوة المسيح التي بها يخدم والتي منها يستمدون إيمانهم وحياتهم وقوتهم!!

---

١٦ : ٨). فالذي يريد أن يفتش على خطاياه، عليه أولاً أن يفتش في كلمة الله، فبقدر ما تزداد معرفتنا بالله تزداد معرفتنا بخطيئتنا.

٣- جيد أن تسقط تحت النير،
وليس جيداً أن تلقي النير عنك:

ما أروع الجندي الذي يسقط في الميدان، وجروحه تنـــزف ويده قابضة على السلاح!

إن جروحه تحكي قصة نضاله الشجاع، ويده المستميتة على السلاح تشهد بأمانته وشرف جنديته!

ولكن ميدان الخدمة الروحية أعلى بلا قياس؛ فالجندي لا يموت في الميدان إلا مرة واحدة، أما إذا تجندنا للمسيح «فإننا من أجلك نُمات كل النهار»!! (مز ٤٤ :٢٢، رو٨: ٣٦) «في الميتات مراراً كثيرة» (٢كو١١: ٢٣).

الكاهن أو الخادم قد نصَّب نفسه ذبيحة يوم نصَّبوه خادماً «قد حُسبنا مثل غنم للذبح» (مز٤٤: ٢٢). إذن فلا تستنكر السهام الحارقة المسمومة التي يرشقها العدو في جسدك وفكرك بلا هوادة، فهي وإن كانت تعمل للموت إلا أنها ستثمّن بالحياة «لأننا نحن الأحياء نُسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع، لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت» (٢كو٤: ١١).

فلا تفزع أيها الكاهن والخادم من جروحك ولا ترتعب من سطوة الحرب كمغلوب، فطالما يدك ماسكة بالحياة الأبدية فلن تُغلب! فقط لا تُرخِ يدك عن الإمساك بالرب، ولا يكفَّ فمك من الصراخ إليه، ولا تنظر قط إلى الوراء. فهو قادم حتماً، قادم لنجدتك. **ولا تنسَ قط أن رحمة الله وإشفاقه عليك وأنت واقع تحت نيره تئن من جروحك، لا تُقاس برحمته وأنت هارب من ثقل النير!**

٤- نير الخدمة رحمة وسخرة بآن واحد:

أولاً: رحمة، لأنه دعاك لتخدمه، فوراء دعوته حتماً قصة اختيار وحب «وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قواني أنه حسبني أميناً إذ جعلني للخدمة» (١تى١: ١٢). كما أن وراء الدعوة خطة تبرير أكيد بل تمجيد «الذين سبق فعيَّنهم فهؤلاء دعاهم أيضاً، والذين دعاهم فهؤلاء برَّرهم أيضاً، والذين برَّرهم فهؤلاء مجَّدهم أيضاً» (رو٨: ٣٠). **فالخدمة بهذا الحال دليل رحمة وطريق تبرير،** ليس أن الخادم يبرِّر نفسه ولا أن الناس يبررونه، بل الذي يبرره هو الله، فالله هو بر الخادم. أما الخادم فيظل غير مبرَّر في عيني ذاته وكلا شيء بالمرة! لذلك يكمل بولس الرسول الآية السالفة بقوله: «فماذا نقول لهذا: إن كان الله معنا فمن علينا؟» (رو٨: ٣١)، أي أن تبرير الخادم وقوته وخلاصه من الدينونة هي بسبب انضمامه إلى الله لخدمته، أو هي حالة ناتجة ومتوقفة على وجوده هو مع الله.

إذن فالخدمة هي في حقيقتها دعوة رحمة، وتبرير، وتبعية لله!

ثانياً: سُخرة، ولكنها سُخرة محبة، لأني أنا الذي أقبلتُ عليها مسروراً كرامة للذي دعاني وقبلتُها مقهوراً، مقهوراً من حبه ومن حبي، لأنه هو سبقني وقَبِلَ هذه السُّخرة نفسها عني حينما خدم خلاصي بدمه وغسل رجلي باتضاعه، وبيع كعبد بثلاثين من الفضة، وسُرَّ أن يموت ثمناً لحريتي. ولكني بعد أن سخَّرت نفسي لخدمة محبته ما عاد لي سلطان أن أستعفي أو أن أطلب أجرة!! «إذ الضرورة قد وُضعت عليَّ فويل لي إن كنت لا أبشر» (١كو٩: ١٦).

هكذا صارت الخدمة مزيجاً من رحمة وسُخرة، رحمة في بر يمنحه الله،

ولكن لا نستطيع أن نفتخر به، وسُخرة محبة ننجذب إليها، فلا نعود نستطيع أن نستعفي منها!!

٥- النير الخفيف الثقيل:

حينما نكون في وضعنا الروحي النشيط نرى نير الخدمة خفيفاً غاية الخفة، وحينما نتكاسل ونهمل ونتحلل من الواجبات نرتبك ويضيق الأفق الروحي أمامنا فنرتمي في أحضان العقل والتفكير وحينئذ يثقل علينا النير حتى لا يعود يُطاق!! ويتكرر الموقف وتتبادل الخفة مع الثقل على مدى الطريق، بقدر ما يتبادل النشاط الروحي مع الإهمال!

لا مناصَ يا آبائي وإخوتي من الإقرار والاعتراف بأن كل ثقل يتراءى لنا في نير الخدمة هو من صنع إهمالنا أو من صنع كبريائنا!

فلا تلوموا أحداً قط على الثقل الذي أصابكم والذي تحسونه بمرارة. ولكن ابحثوا عن المنفذ، فلا خلاص من ثقل النير إلا بمضاعفة الصلاة واللجوء إلى الاتضاع في الحال، حينئذ تنقشع الغمامة، وفي وسط الصلاة ومن على تراب الأرض يلمح الإنسان خفة النير من جديد ويفرح به ويرتضيه. **والنير هو النير لم يتغير ولم يتبدَّل!!**

٦- جعلتُك آية:

من وظائف الكاهن أو الخادم وظيفة يكاد لا يلمحها أحد أو يهتم بها مع أنها ذات أهمية كبيرة، وهي أن يستخدمه الله كمَثَل أو نموذج أو آية للشعب. وطبعاً العهد القديم مليء بهذه النماذج، ومن أعجب هذه النماذج، ما أوحى الله به لحزقيال النبي أن ينام على جنبه ثلاثمائة وتسعين يوماً، وربطه الله بالصبر والثبات ليتمم النبوة، على أن يأكل أثناءها خبزاً

نجساً. وكل ذلك ليكون آية ونبوة لسقوط إسرائيل تحت خطاياها النجسة هذه المدة بعينها، إنما بدل الأيام تكون سنيناً. ثم أمره أن يحلق شعر رأسه ولحيته، ويقسمه ويذريه، ويلقي ثُلْثه في النار كناية عن زوال رحمة الله وعنايته عن إسرائيل وتبديدهم في أقطار الأرض ووقوعهم تحت نار غضب الله!

ولكن في بولس الرسول نرى نموذجاً جديداً، فهو يقول عن نفسه: «لكنني لهذا رُحمت ليُظهر يسوع المسيح فيَّ أنا أولاً كل أناة **مثالاً** للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية» (١تى١: ١٦). وعلى هذا المنوال تعمل النعمة في كل كاهن مختار من الله وكل خادم ممتلئ من الروح القدس؛ إذ تجعل من شكله وكلامه وسيرته آية للشعب دون أن يدري أو يحس. إذ تُركِّز النعمة عملها فيه في ناحية من النواحي فتكشف مَسْكنته أو بساطته أو بكاءه أو عطفه أو حنانه أو طهارته أو حلمه أو بذله المتناهي أو تسليمه لحياته. والنعمة، لكي تُظهر ذلك فيه، تستخدم أحياناً نار الممحِّص والتجارب والأحزان التي تكون بمثابة النار التي نشعلها تحت البخور فتفيح رائحته.

والعجيب أنه في اللحظة التي يقرر فيها الكاهن أو الخادم أنه لم يعُدْ يصلح لشيء ولا لمزبلة، معتقداً أن التجارب التي أحاطت به هي بسبب خطاياه، ويظن أنها حتماً تخلية من الله، تكون النعمة قد أكملت خطتها والتحمت النار بالبخور وأفاحت رائحة المسيح التي فيه!! وهكذا ومن الصفة الضعيفة ذاتها التي يكرهها الخادم في نفسه، تخرج النعمة آية من آيات رحمة الله!

فلو انفتحت أذن الكاهن أو الخادم اليائس من خدمته بسبب ضعفه،

لتسمع رأي الله فيه، لسمعت الآتي: **وأنا من أجل هذا الضعف اخترتُك لتكون آية لرحمتي.**

٧- كفء وغير كفء معاً:

لا ينبغي للخادم أن يعتبر نفسه غير كفء للخدمة، كما عليه في نفس الوقت ألا يحس في نفسه أنه كفء من ذاته للخدمة. **فخلاص النفس البشرية ولو أنه ليس هو من عمل الإنسان، إلا أنه لا يتم إلا بواسطة إنسان!!** فالخادم يستحيل أن يعتبر أنه مخلِّص ولكنه هو في الواقع واسطة للخلاص.

وبولس الرسول يقول: «من هو - يا تُرى - كفءٌ لهذه الأمور»، أي من هو كفء لحياة الناس وموتهم؟ ثم يعود بعد ذلك ويقول: «ولكن لنا ثقة مثل هذه: أنكم أنتم رسالتنا مكتوبة في قلوبنا معروفة ومقروءة من جميع الناس ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا... بروح الله الحي... ليس أننا كُفَاة من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله، الذي جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد» (٢كو٣: ٤، ٢، ٣، ٥، ٦)، علماً بأن ثقة الخادم الراسخة بكفاءته التي يمنحها له الله أولاً بأول، هي أهم وأعظم عوامل النجاح في الخدمة لتمجيد الله.

٨- المديح الحق... والمديح الباطل:

يوجد ثلاثة أنواع من المديح يتعرض لها الكاهن أو الكارز:

اثنان منها مشجوبان، وواحد ممدوح.

فالمديح الأول أن يمدح هو نفسه في ضمير نفسه، وهذا المديح

مشجوب لأنه يفضح الخدمة كلها، ويُظهرها أنها ليست لمجد الله ولكن لمجد الذات «ليس من مدح نفسه هو المزكّى بل من يمدحه الرب» (٢كو١٠: ١٨).

والمديح الثاني أن يمدحه الناس علناً بدون مشورة الله وإيحائه، وهذا المديح مشجوب أيضاً لأنه يسيء إلى الخدمة وينقل كرامتها ومجدها الواجب أن تُعطَى لله ويضيفه لحساب الخادم **فينضرُّ** الخادم **وتنضرُّ** الخدمة «الذي مدْحُه ليس من الناس بل من الله» (رو٢: ٢٩).

والمديح الثالث «هو من يمدحه الرب». ومدح الرب للإنسان الذي يعيش بأمانة ينطقه الله في قلوب أحبائه وسامعيه، فيحرك قلوبهم وضمائرهم لمدحه اعترافاً بفضل الله عليهم «غير سالكين في مكر ولا غاشّين كلمة الله بل بإظهار الحق مادحين أنفسنا **لدى ضمير كل إنسان قدَّام الله**» (٢كو٤: ٢). ويكون هذا المديح إمعاناً في تمجيد الله نفسه وإعلاناً عن عمله الذي تم فيهم. وفي هذا يقول بولس الرسول بمنتهى الوضوح: «وأما أنا فأقل شيء عندي أن يُحكم فيَّ منكم أو من يوم بشر. بل لست أحكم في نفسي أيضاً. فإني لست أشعر بشيء في ذاتي لكنني لست بذلك مبرَّراً. ولكن الذي يحكم فيَّ هو الرب. إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويُظهر آراء القلوب وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله» (١كو٤: ٣-٥). ثم يعود بولس الرسول ليحذِّر المخدومين من المديح الجزافي الذي يكون بدون إيحاء من الله قائلاً: «فهذا أيها الإخوة حوَّلتُه تشبيهاً إلى نفسي وإلى أبلُّوس من أجلكم لكي تتعلموا فينا أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب، كي لا ينتفخ أحد لأجل الواحد على الآخر» (١كو٤: ٦).

والخادم الذي يمدحه الله بالحق في قلوب الناس وضمائرهم لا يحس أبداً بمديح الناس له، بل يعتبره علامة على نجاح الله في استخدام ضعفه. ولا يرى أن ما قاله وما علَّم به يستحق عليه المديح مهما كان مؤثراً وناجحاً كموسى الذي لم يكن يرى نور وجه نفسه، بل كان يراه الناس ويرتعبون حتى أنه وضع برقعاً على وجهه لكي لا يرى الشعب مجده الزائل!! وكان هذا في الحقيقة رمزاً لنور وجه المسيح الذي ينبغي أن نراه كلنا الآن في الإنجيل وفي وجه كل من يقرأ الإنجيل ويخدمه، إنما بالرؤيا القلبية حيث النور الآن هو حق المسيح الذي يكشف الخطايا والنجاسة وخفايا الخزي.

إذن فكل خادم أمين ينظر إلى نور وجه المسيح الذي هو الحق الكائن في كلمة الحياة لابد أن يتحول إلى مثل هذا النور عينه، كما يقول بولس الرسول: «ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفَع البرقع... ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣: ١٦و١٨).

فكل مجد الخدمة والخدام هو هو بعينه مجد المسيح أولاً وآخراً: «لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو٤: ٦).

٩- تحولات في طبيعة الخادم:

الذي يحمل نير الخدمة كمتخصص وكمكرَّس لها، لم يعد له ما لباقي الناس من حقوق الراحة الجسدية والاستمتاع بالخيرات الزمنية والمسرات الطبيعية. فالبقرة التي تحمل الناف (النير) وتُخصَّص للحرث باستمرار ولإدارة السواقي، لا تعود تحلب لبناً مثل باقي البقرات المستريحة طول

النهار في الحظيرة تأكل وتنام، بل يقل لبنها جداً وتنحني رقبتها وتهزل وتتحول عضلاتها إلى عضلات عاملة تناسب خدمتها، وبمضي المدة لا تعود تقبل ذكراً ولا تحمل ولا تلد!! ونفس هذه التحولات الوظيفية تتم بالنسبة لثور البقر أيضاً!

هكذا في بداية حمل النير يتململ الإنسان جداً بسبب حرمانه من كثير من الحقوق الطبيعية، ثم بعد مسيرة مناسبة تبتدئ تعزف نفسه عن هذه المسرات، وأخيراً يسمو الخادم فوقها ولا يعود يحس قط بالحرمان، بل بالعكس فإنه يحس بالبركة والعناية الإلهية وتعزيات الروح التي تفوق كل مسرات الدنيا. **وثقل نير الخدمة الإلهي كفيل بالصبر مع الأمانة أن يخلق تحولات جوهرية في طبيعة الإنسان ومزاجه!**

١٠- الموت والحياة:

من قوانين الخدمة الأساسية التي ينبغي أن لا تغيب عن فكر الخادم الذي حمل النير وسلم حياته مرة واحدة لله هو قانون أورده بولس الرسول في كلمتين بعد أن ذاقه وتمرن عليه وانتهى إلى تحقيقه «**إذن الموت يعمل فينا، ولكن الحياة فيكم**» (٢كو٤: ١٢). وفي موضع آخر أورده هكذا: «**أُنفِق وأُنفَق من أجلكم**». ولكنه شرحه بوضوح في قوله «لأننا نحن الأحياء نسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تُظهَر حياة يسوع أيضاً في جسدنا» (٢كو٤: ١١).

ومعنى هذا القول عميق وعظيم، وهو باختصار صورة تطبيقية لعملية الصلب التي جازها المسيح بإرادته عن **ضعف شاءه لنفسه وهو قوي**.

وقلنا إنه قانون أساسي في الخدمة لأن المسيح هو الذي سنَّ صيغته

وقام بتطبيقها في جسده وفي نفسه: «إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُت، فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير» (يو١٢: ٢٤). وقد لمح بولس الرسول هذا القانون، فقام بتفسيره لاهوتياً فقال: «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذن ماتوا. وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢كو٥: ١٤).

الخادم تنسحق نفسه ويذبل جسده أمام عينيه يوماً بعد يوم بسبب نير الخدمة الذي هو الصليب عينه. وعملية الموت التي يجوزها بإرادته من أسهار وأصوام وصلوات وتنسكات، والاهتمام الزائد بأمور الرعية والمخدومين، تمشي جنباً لجنب مع عملية الموت التي يجوزها رغماً عنه من أمراض وأعواز وضيقات ومكائد واضطهادات التي تبدو وكأن لا حل لها ولا بديل عنها.

ولكن هذا الموت بصورته المزدوجة الإرادية وغير الإرادية هو في حقيقته ليس موتاً جزافياً، بل هو موت للرب، موت صليبيٌّ (أي على مثال موت صليب المسيح)، ينبثق منه ومعه وبنفس درجاته وعمقه قيامة وحياة، لا في نفس الخادم فحسب بل وفي كل من كان يصلي عنهم ويتألم من أجلهم ويسهر لراحتهم ويصوم نيابة عنهم ويتوب ويتذلل باسمهم! فكما مات الرب وكان موته مجداً له وحياة لمن مات عنهم، هكذا كل من مات مع الرب حباً وكرامة لاسمه وبذلاً وفدية عن أولاده الخطاة!

١١- مختلين وعاقلين:

قانون أساسي آخر في الخدمة، إن سهينا عنه ثقل علينا النير وضاقت

أنفسنا فينا. وقد لخصه بولس الرسول هكذا: «لأننا إن صرنا مختلين فلله أو كنا عاقلين فلكم» (٢كو٥: ١٣). فالمناداة بالإنجيل لابد وأن تبدو لكثيرين أنها غير معقولة بل وغير عاقلة. فالإله المصلوب لا يفهمه ولا يستسيغه العائشون في الظلمة لأنهم لا يحسون بجسامة الخطيئة وفعلها المميت للنفس. كذلك فالطهارة شيء ينكره العالم لأنه لا يعرف مصدر قوتها، والصوم الكثير يستثقله المحبون لملذات الأطعمة، والمتشبثون بصحتهم ومزاجهم لا يرون أهميته وخطورته بالنسبة لأرواحهم لأنهم يعيشون حسب الجسد وليس حسب الروح. والحشمة في الملبس واللياقة في السلوك وفي الكلام يهاجمها الإباحيون السائرون وراء غرائزهم وميلهم لاستعراض أجسادهم، وكذلك التواضع الحقيقي والمسكنة غير المصطَنَعة التي بالروح صفة يمقتها المتعظمون بذواتهم الطامحون للمجد والشهرة.

وهكذا فخادم الإنجيل والكارز بوصايا الروح بقدر ما يكون أميناً ودقيقاً في المناداة بهذه الوصايا، كرامة لإلهه، بقدر ما يُذمُّ كمختل العقل ويُبغَض ويُنتقَد من الدنيويين والشهوانيين والحكماء حسب الجسد والعقلانيين الذين يتدبرون بمقتضى قوانين الصحة والطبيعة.

فإذا لم يقبل الخادم، منذ البداية، أن يكون محسوباً مختلاً في نظر هؤلاء جميعاً، كقضية مسلَّم بها، فإنه يقع حتماً في صراع داخلي مع نفسه. وخصوصاً إذا هو حاول أن يبدو عاقلاً لدى هؤلاء المستهترين والحكماء في أعين أنفسهم، **فإنه سيقع في الرياء والممالأة وإنكار القيم الروحية الخالصة لمصالحة القيم العقلية المادية.**

إذن فلا مفر أمام الخادم الأمين أن يقبل هذا الحكم الصارم من العالم،

لأنه إن كان مختلاً فلله ومن أجل الله.

وعلى نفس النمط تماماً، إن اعتُبر عاقلاً وحكيماً ورزيناً في نظر أولاد النور الطالبين وجه الله، فهو إنما يكون عاقلاً لهم وليس لنفسه، **لأن الله لا يمنح الخادم الحكمة الروحية ورزانة التعبير وبصيرة الخدمة لذات الخادم وإنما للآخرين:** «**كأن الله يعظ بنا**» (٢كو٥: ٢٠).

١٢- خطاة مُبــرَّرون:

من المبادئ العظمى في حياة الخادم التي تفتح أمامه مجال الخدمة طولاً وعرضاً بضمير شجاعٍ غير مضطرب، المبدأ الذي يتخذه إزاء موقفه من حياته الأولى خصوصاً إذا كانت مزدحمة بالخطايا والعثرات. فهو وإن كان يعرف نفسه تماماً مَنْ هو وكيف كان يعيش حسب أهواء الجسد، إلا أنه الآن أصبح في المسيح إنساناً آخر.

هنا نستعير من علم اللاهوت حقيقة إيمانية حية عاشها بولس الرسول حتى أعماق أعماقها، وهي أننا الآن بسبب المسيح معتبرون لدى الله أننا لسنا نحن أنفسنا الذين كنا بالأمس: «الأشياء العتيقة قد مضت» (٢كو٥: ١٧). فالمسيح بحبه الجبار الفعال وبجسده الإلهي المتغلغل في كياننا جمعنا وحصرنا في شخصه وفي حياته المقامة: «محبة المسيح تحصرنا» (٢كو٥: ١٤). لقد متنا مع المسيح لما مات المسيح عنا، وقمنا معه، ونحن الآن قائمون فيه «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذن ماتوا» (٢كو٥: ١٤). فنحن الآن لسنا نعيش بأنفسنا ولا لأنفسنا الأولى القديمة «كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢كو٥: ١٥). أنفسنا الأولى ماتت، والآن نحن بالمسيح أشخاص آخرون «هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو٥: ١٧).

صفاتنا الأولى غير محسوبة، خطايانا الأولى غير محسوبة «غير حاسب لهم خطاياهم» (٢كو٥: ١٩).

إذن فنحن الآن كخدام غير ممسوكين بصفاتنا الميتة ولا منظورين أمام الله بأشكالنا الأولى المنتنة، لذلك أصبح لزاماً علينا أن نتعرف على شكلنا الجديد المخلوق بالروح حسب النعمة والحق الذي في المسيح «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة» (٢كو٥: ١٧).

فالآن نحن محسوبون أمام الآب السمائي أبراراً بسبب المسيح: «نحن بر الله فيه (أي في المسيح)» (٢كو٥: ٢١)، لأننا عَمَلُه ومفديوه وثمرة صليبه، وقد لبسناه روحياً فاختفت من أمام الله معالم شخصياتنا الأولى، وما نحياه الآن لا نحياه لأنفسنا نحن كأنه للجسد بل المسيح هو الذي يحيا الآن فينا بالروح، وغاية معيشتنا ليست الآن لأنفسنا بل للذي مات عنا وقام بهذه الروح وبهذا الإيمان المسيحي الحي.

وبهذه الحقيقة الإلهية المعاشة يستطيع الخادم أن يرفع عينه من النظر إلى نفسه الأولى ويُثبِّت قلبه وفكره وعينه في وجه المسيح وصفاته بعزم وإصرار، ولا يرتد، حتى يتغير بالروح إلى الإنسان الآخر إلى الصورة الجديدة، إلى شكل المسيح نفسه، من مجد إلى مجد!!

إذن فالخادم الذي يخدم المسيح لا يخدم بنفسه حاملاً وراءه ثقل جسده بماضيه المعثر أو بحاضره العاجز، بل هو برٌّ من المسيح يخدم، وبرٌّ من المسيح يتكلم، وبرٌّ من المسيح يعظ ويوبخ!! «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا **لنصير نحن بر الله فيه**» (٢كو٥: ٢١).

الفَصْلُ الثَّاني

في عثرات الخادم

المؤمن العادي إذا عثر في حياته وعجز أن يوفي حق شجاعة الإيمان بالمسيح وضريبة الملكوت التي قد تصل إلى الموت، فعثرته تكون محصورة في إطار مسئوليته الخاصة عن نفسه، أما الكاهن أو الكارز فعثرته تتجاوز حياته وتمتد لتحطم أركاناً كثيرة في الخدمة، لأنها تؤثر تأثيراً مباشراً وخطيراً على إيمان **الضعفاء** بل وعلى **زملائه** في النير والرسالة. وفي النهاية، يتعدى اللوم الواقع على الكارز ويمتد فتُلام الخدمة ذاتها بل ورب الخدمة أيضاً!

ونحن هنا لسنا بصدد العثرات الشخصية ذات المستوى الحطيط من محبة جمع المال وشهوة الغنى والرئاسة والترفع والكبرياء والغضب والكذب، أو الانصباب وراء نـــزوات الجسد من خمر وتدخين، وبقية الصفات المرذولة والسيرة المنحلة، فهذه ليست عثرات خادم أو كاهن بل هي عثرات إنسان لم يبلغ بعد قامة الموعوظين.

أما عثرات الخدمة التي نقصدها فهي **عثرات نوعية**، أي ذات صلة مباشرة بروح الخدمة وظروفها وطبيعتها. فحينما قال بولس الرسول «لسنا نجعل عثرة في شيء لئلا تُلام الخدمة»، بدأ يحدد بعد ذلك مصادر عثرات الخدمة وأنواعها محاولاً تلافيها واحدة فواحدة. ونحن هنا نعرض لها باختصار:

«ولسنا نجعل عثرة في شيء لئلا تلام الخدمة بل في كل شيء نُظهِر أنفسنا كخدام الله في: صبر كثير، في شدائد، في ضرورات، في ضيقات.

في ضربات، في سجون، في اضطرابات، في أتعاب.

في أسهار، في أصوام، في طهارة، في علم.

في أناة، في لطف، في الروح القدس، في محبة بلا رياء.

في كلام الحق...» (٢كو٦: ٣-٧).

١- عثرة قلة الصبر:

«بل نُظهر أنفسنا كخدام الله في صبر كثير»:

فإذن، أول ما يُعثر الخدمة قلة صبر الخادم سواء بالنسبة للصعوبات التي تعترض العمل ذاته، أو بالنسبة لاستهتار المخدومين ومراوغة الرعية وعدم الإذعان للتعليم والتوبيخ.

هنا يكون عدم صبر الخادم فرصة لزعزعة الخدمة كلها، وإساءة مباشرة لإمكانية المناداة بالإنجيل عموماً، بل وضربة مسددة لقيمة الكرازة والإيمان، لأن قلة صبر الخادم تشكل بحد ذاتها حالة ضعف إيمان. فالملامة هنا تتعدى شخص الخادم وتبلغ إلى صميم عمل الكنيسة وقوتها. فأفضل ألف مرة أن يبقى الخادم في موقعه يواصل شهادته ليل نهار محتملاً التعب بأقصى صبر حتى الموت من أن يلقي بالنير ويهرب، مُعرِّضاً الخدمة للملامة وضعف الثقة.

وينبغي هنا أن لا يغيب عن بالنا أن هذه عثرة شائعة في الخدمة، وقد واجهها بولس الرسول مرات عديدة إنما بشجاعة وعناد وصلابة لا تُقهَر «فإننا لا نريد أيها الإخوة أن تجهلوا... ضيقتنا التي أصابتنا... **فإننا تثقلنا جداً فوق الطاقة** حتى أيسنا من الحياة أيضاً، **لكن** كان لنا في أنفسنا حكم الموت... لم يكن لجسدنا شيء من الراحة بل كنا مكتئبين في كل

شيء، من خارج خصومات، من داخل مخاوف، لكن الله الذي يُعزِّي المتضعين عزَّانا» (٢كو١: ٨، ٩، ٧: ٥، ٦). هنا تتضح لنا أهمية مطلقة في خبرة بولس الرسول في صبر الخدمة التي تتركز في كلمة «**كثير**»: في صبر «**كثير**».

٢- عثرة الجزع من الشدائد:

حمل نير الخدمة ليس مقصوراً على الكلام الهادئ والكرازة المفرحة والتعليم بالراحة، بل نير الخدمة هو أساساً حرب!! حرب ضد قوات الظلمة، لأن الخطاة والمستهترين والمتهاونين تُشدِّدهم أرواح مُضلَّة وتسيطر على أفكارهم قوات شريرة مخادعة وعنيدة.

فالخادم معرَّض دائماً أبداً أن يتواجه مع هذه القوات وجهاً لوجه، ومع فخاخها المنصوبة وضرباها ونقمتها، تهيِّج عليه الأشرار وتثير ضده السلطات وتعرقل طرقه وتبث حوله الشكوك وتبلبل أفكار الناس من جهة نياته وكلماته.

إذن، فالشدائد لازمة من لوازم الخدمة باعتبار أن **الخدمة تتضمن فك قيود الخطاة من سلطان الشيطان، فهي عمل هجومي وعدائي بالنسبة لقوات الظلمة**. فإن خارت قوى الخادم وانهار واستسلم مغلوباً إزاء المحن والشدائد التي يرتبها العدو، وخصوصاً في بداية خدمته، مهما كانت الأسباب، فإنه يُعرِّي الخدمة ويفضحها.

فالخادم يلزمه بكل تأكيد، أن يتسلح بالاحتمال والقوة والعناد الصابر وعدم الجزع إزاء الشدائد ومكايد الشيطان حتى الموت!! وبولس الرسول يخاطب خُدام البشارة والمنادين بإنجيل السلام، محذراً ومشجعاً: «يا

إخوتي **تقووا في الرب وفي شدة قوته**، البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن **تثبتوا ضد مكائد** إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن **تقاوموا في اليوم الشرير**. وبعد أن تكملوا كل هذا **أن تثبتوا. فاثبتوا** ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر (بر المسيح)، **وحاذين أرجلكم باستعداد** إنجيل السلام. حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به **تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير** الملتهبة، وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله. مُصلِّين في الروح بكل صلاة وطلبة كل وقت ساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة...» (أفسس٦: ١٠-١٨).

٣- عثرة الفزع من الضرورات:

والضرورات التي يقصدها بولس الرسول تشمل ثلاثة أنواع:

١- الضرورات الناتجة من قسوة الطبيعة من حر وبرد ومطر وعواصف وأهوال الجبال والوحوش المفزعة.

٢- الضرورات الناتجة من عوز الأشياء اللازمة للجسد والحياة اليومية سواء لنفسه أو لأسرته أو لرعيته، والتي ينشأ عنها الجوع والعطش والبرد وعدم الراحة.

٣- الضرورات التي تنشأ من الوقوع في الأمراض والآلام.

هذه الضرورات بأنواعها تواجه الخادم كل يوم في رحلاته وسفرياته على مدى حياته، ولابد أن يصطدم بها جميعاً كحقيقة واقعة لا محالة، غير

أنها لا تأتي عليه جزافاً بل هي **بسماح من الله، توزن وزناً يتناسب مع خلاص الخادم وإكليله**، غير أن الشيطان يتفنن في انتخاب أنواعها **غير الملائمة** للإنسان، ويختار **أوقاتها المفاجئة** والخطرة بدهاء منقطع النظير وبطريقة لا تدعو إلى الشك أنها جزء من حرب علنية وسافرة.

فإذا ارتعب الخادم من مصادمة هذه الأهوال وفقد سلاح الصلاة الوحيد، **وابتدأ ينشغل بها محاولاً تفاديها بطرق غير مشروعة بالرشوة مثلاً أو بالتملق أو بالتهديد**، أو ابتدأ يتململ وينظر إلى الوراء نحو طريق الرجوع والهرب، يزيد العدو بسرعة من ضرباته وتخويفاته، ويرعب قلبه ليلقي أسلحته مرة واحدة ويهرب تاركاً وراءه ميدان الخدمة مكشوفاً ومفضوحاً!! مع أن هذه الضرورات والمفزعات بكل أنواعها لا تعدو أن تكون كأصوات المفرقعات التي لا تحوي رصاصاً، التي يمكن للإنسان أن يجابهها وجهاً لوجه فيكشف تفاهتها وانعدام قوتها.

فأهوال الطبيعة وأعواز الجسد وكافة الأمراض والآلام يستطيع روح الله القدوس أن يحوِّلها إلى وسائط أساسية وقوية لإنجاح الخدمة والكرازة وإظهار مجد الله، إذا استطاع الخادم أن يصمد أمامها ويقبلها بشكر، ويعبرها بابتسام حتى النهاية، **فالله دائماً يتمجد بصورة خاصة في الضرورات إنما في آخر هزيع من ليل التجارب الذي يبدو طويلاً**. وقصص أعمال الله في وسط الأعواز والضرورات كثيرة جداً ومشجعة للغاية.

ولكن أخطر سقطة يتردَّى فيها خادم الله هو اللجوء إلى المال والغنى لتأمين المستقبل: «وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة. لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء. فإن كان لنا

قوت وكسوة فلنكتفِ بهما. وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومُضرة تغرق الناس في العطب والهلاك. لأن **محبة المال أصل لكل الشرور الَذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة»** (١تى٦: ٦-١٠).

٤- عثرة الفشل في احتمال الضيقات:

والضيقة التي يعنيها بولس الرسول هي المأزق الذي يضيِّق على الإنسان من كل جهة، حيث يقع في مواقف أعلى وأكبر من احتماله وقدرته، سواء الجسدية أو العصبية أو الفكرية أو حتى الروحية، حيث يواجه الإنسان شبح الإخفاق الكامل يُطْبق عليه من كل جانب ويتلمس أية معونة من أي إنسان فلا يجد، حتى يفقد كل الثقة بنفسه وبكافة الاحتمالات الممكنة، فينحصر الإنسان في أضيق نطاق من التفكير والأمل ويواجه الفشل عياناً. **هنا صراع الإيمان، هنا صراع الرجاء، هنا التمسك بوعد الله!!** حيث يقف الإنسان أحرج مواقف الشهادة لله والأمانة للخدمة، حيث يلح الشيطان على الخادم أن يعلن فشله ويرتد، **مع أن معونة القوة الإلهية مستعدة ومتأهبة رهن ثباته، وانفتاح باب المَنفَذ الموعود به متوقف على قدرته في التمسك بالرجاء الحي في تحدي المستحيلات حتى النهاية، والخلاص الذي أعده الله للذين يجاهدون باسمه ينتظر بلوغ الإيمان أعلى قمته للمسير في الظلام!!**

فالذي ينبغي أن يعرفه الخادم منذ البدء، بل ويلزم أن يثق به ويتيقن منه تماماً، أن العدو يبدأ يجمع له منذ أول ساعة كافة الأدلة السلبية والنقط التي ينغلب فيها أولاً بأول ويحفظها له، ليقدِّمها في ساعة الضيقة حيث تبلغ الظلمة كثافتها العظمى ليدلل له من واقع حياته وسلوكه على

حتمية الفشل ومعقولية الهروب!

ولكن أيها الخادم، قف ثابتاً، واهدأ، وتمسك بالعناد الصابر حتى تعبر ساعة الظلمة ويكف هتاف الأشرار وحينئذ يتحقق لك انكسار العدو وتفرح ويعظم انتصارك بالذي أحببته وأحبك. واذكر في هذه اللحظات قول بولس الرسول: «لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح» (٢تي١: ٧).

٥- عثرة الانهيار تحت الضربات:

كان الرسل والكارزون قديماً يتعرضون فعلاً للضرب بالعصي أو بالسوط على جسدهم العاري، بقصد أن تنهار قوهم تحت وطأة الضرب والجروح الموجعة، فتنهار نفوسهم من وقع الفضيحة، حتى ينكروا الإيمان ويرتدوا عن الخدمة والمناداة بالإنجيل وباسم يسوع. هذه صناعة الشيطان وأعوانه منذ البدء وقد حاولها مع المسيح نفسه في جثسيماني «**أضرب الراعي فتتبدد الرعية**»!!

ولكن الآن، غيَّر الشيطان أسلوب التعذيب ولكنه لم يغيِّر التعذيب، فالضربات هي هي ولكن بدل أن تكون بالعصي والسوط كفضيحة جسدية أصبحت بالاضطهاد والتشهير والامتهان كفضيحة نفسانية، مع التضييق والحرمان بقسوة من أبسط الحقوق، مما تتأذى له النفس أشد ألف مرة مما كان يتأذى له الجسد. والقصد واحد هو أن تنهار قوة الكارز وعزيمته تحت وطأة الضرب المتواصل والتعذيب النفسي فيتوقف، ويرتد تاركاً ميدان الخدمة نهباً للنقّاد والشامتين ومسرحاً للشياطين.

ولكن الرسل قد نبَّهوا قلوبنا إلى هذه المكيدة عندما تنبهوا هم أولاً

بالنعمة، فلما احتجزوهم في المجمع وضربوهم بالسياط خرجوا فرحين ولم تنهار نفوسهم من الفضيحة والألم، عندما حسبوا ذلك أنه من أجل اسم المسيح!!

إذن **فكل فضيحة أو عار أو تشهير ينالنا ونحن حاملون نير المسيح، هو محسوب لنا كذبيحة نقدمها كرامة لاسم المسيح**، بل هو بالحقيقة شركة في ذبيحة المسيح عينها.

«اذكر يسوع المسيح... الذي فيه احتمل المشقات **حتى القيود كمذنب...**» (٢تي ٢: ٨، ٩).

«الذي جُعلتُ أنا له كارزاً ورسولاً ومعلماً للأمم. لهذا السبب أَحتمل هذه الأمور أيضاً. **لكنني لست أخجل لأنني عالم بمن آمنت،** وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم. فلا تخجل بشهادة ربنا ولا بي أنا أسيره، **بل اشترك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل** بحسب قوة الله» (٢تي١: ١١، ١٢، ٨).

٦- عثرة الهروب من هول السجون:

السجن يُعتبر وسيلة للتضييق على النفس حتى يختنق رجاء الإنسان ويستسلم أخيراً ويكف عن إصراره على المناداة بالإنجيل. ولكن قد تتم عملية السجن نفسانياً وليس مكانياً، فمحاصرة نشاط الخادم وكرازته ومراقبة أقواله وأعماله وإنتاجه ومنعه من الاتصال بأبنائه وتلاميذه ومريديه هو نوع حديث من السجون. فإذا رفض الخادم أن يتقبله ولم يرتضِ أن يعمل في حدوده وقيوده، ضاقت نفسه فيه وتمزقت روحه وتوترت أعصابه. وفي النهاية لا يمكن أن يفلت من التذمر والشكوى ما

ينتهي به إلى الذبول والانحصار وترك مجال الخدمة للمفسدين والعابثين.

والذي ينبغي أن ننتبه إليه أن السجن بكل أنواعه قرين الخدمة منذ أيام الرسل حتى اليوم، ولا مفر من قبول قيوده وسلاسله سواء المنظورة أو غير المنظورة، جسدية أو نفسانية أو عقلية، فهو إحدى الوسائل التي يُشْهرها العالم وكل من يعمل لحساب العالم ضد خدام الإنجيل والكرازة باسم المسيح.

كما ينبغي أن ننتبه غاية الانتباه إلى أن مجرد الاستسلام للشكوى أو التذمر أو القلق بسبب الإحساس بهذه القيود، هو كفيل أن يتدرجِ بالخادم إلى أن يوقعه في التمزق والثورة الداخلية التي تنتهي حتماً بنكران الخدمة والإساءة للاسم الكريم وإهانة معنى الكرازة بالصليب!!!

أيها الخادم تذكر قيود المسيح التي ارتضاها وسار تحت رباطها حتى إلى الصليب!!

وتذكر بولس الرسول، سفير السلاسل، الذي اعتبر ترحيله من سجن فلسطين إلى سجن روما وهو مقيد بالسلاسل أنه سفارة في صميم الخدمة لحساب المسيح، ولكنها سفارة في قيود. وما أحلاها وما أغلاها قيوداً، هذه التي قال عنها يوحنا ذهبي الفم مرة إنه لو خُيِّر أن يختار لنفسه موهبة من بين مواهب بولس الرسول المتعددة لاختار السلاسل!!

٧- عثرة التخاذل في الاضطرابات:

الاضطرابات إما مفتعلة أو طبيعية. فالشيطان قد يثير الشغب والهياج ضد الخادم، كما حدث لبولس الرسول في أفسس حينما قامت المدينة

كلها بزعامة صانعي تماثيل أرطاميس تصرخ وتذري التراب في الهواء ضد بولس الذي جاء ليفسد عليهم أرباحهم ويحط من شأن عبادتهم. والعدو يُحكم مثل هذه الثورات ويتصاعد بها حتى الذروة ليخيف قلب الخادم ويرعبه ويوقعه في التخاذل والهروب.

وقد تكون الاضطرابات طبيعية بسبب أيام الحروب أو الثورات أو المجاعات أو الأوبئة، وفيها يضغط العدو على قلب الخادم وفكره حتى ينطوي تحت هذه المؤثرات، فيكف عن النطق والخدمة ويلوذ بالفرار، أو ينتهز الفرص ليؤمِّن لنفسه ولذويه السلامة، فيترك الرعية ويهرب معرِّضاً إياها للتشتت والتمزق وهي أحوج ما تكون إلى من يقودها في هذا الإعصار ويعبر بها مناطق الخطر كقطيع موحد متآزر يصلي معهم وبهم ويتضرع إلى أن يجوز الاضطراب. **في هذه الأوقات العصيبة، يتبين الراعي الصالح بالحق من الراعي الأجير** حيث هروب الراعي خوفاً على حياته معناه هلاك كل الرعية!!

٨- عثرة الراحة في وقت ينبغي فيه التعب:

كما يلتزم الزارع بأوقات العمل المتواصل السريع الذي لا يعرف الراحة أو الكسل، سواء التي يحرث فيها أرضه للزرع قبل حلول فصل المطر، أو التي يضع فيها الأسمدة، أو التي يحصد فيها الثمر، بحيث لو توانى أو تكاسل، ضاع عليه الموسم أو انضرَّ زرعه أو تلف حصيده، فيقف حقله وسط الحقول عارياً كئيباً يقص على الرائح والغادي قصة كسل رخيص أو عجز محزن، أما هو فلا يجد ما يجيب به على ملامة الناس ولا يجد ما يوفي به حاجته.

هكذا تماماً تقف الكنيسة الخالية من المؤمنين والمصلين في أيام الآحاد

ومواسم الصوم والصلاة، تحكي قصة تواني رعاتها وخدامها الذين تركوا الخدمة الروحية، وذهبوا ليحرثوا في البحر ليحصدوا الريح. ويا للأسف ويا للملامة. وما هذه الصور المحزنة الكئيبة إلا مقدمة لما سيتم أمام منبر المسيح حينما يقف أصحاب المواهب والمؤتمنين على الأسرار الذين طمروا الموهبة في وحل المال أو الإهمال.

إن راحة الخادم الحقيقية محفوظة له في السموات مع سيده الذي كان ينبغي أن يتألم أولاً ثم يدخل إلى راحته. **فالراحة الحقيقية لن نجدها هنا**، بل هي مذخورة لنا مع المسيح بكيل فائض في السموات. كما يقول بولس الرسول: «ولمن أقسم لن يدخلوا راحته إلا للذين لم يطيعوا، فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه... فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها» (عب٣: ١٨و٤: ١، ١١).

إذن فهنا زمان التعب، كما يقول بولس الرسول: «ولم يكن لجسدنا شيء من الراحة» (٢كو٧: ٥). ولكنه تعب مقدس وثمين، تعب يثمر راحة وخلاصاً أبدياً. **هذا هو التعب الذي سيجعل وجه الراعي والخادم يضيء بالمجد أمام الله**: «والفاهمون يضيئون كضياء الجَلَد، والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور» (دا١٢: ٣).

٩- عثرة النوم في السهر:

كم كان مؤلماً على قلب المسيح أن ينام التلاميذ في ساعة من أشد ساعات المسيح حاجة إلى اليقظة والسهر، ثلاث مرات وهو يحاول أن يوقظهم!! مع أنه سبق ونبه أذهانهم أن اسهروا اسهروا وصلوا لكي لا تدخلوا في تجربة! كما سبق ونبه قلوبنا في مثل رب البيت الساهر **أن**

الشيطان ينتهز فرصة الغفلة العقلية والفكرية، فيتسلل وينقب بيت الإنسان الروحي ويسرق وينهب ويبدد كل ما اختزنه الإنسان بعرق الصلاة ودموع التوبة.

الذئب اللئيم لا يهجم على قطيع الراعي الساهر اليقظان ولكنه يجول بين القطعان يفتش عن راعٍ افترش الأرض وغطَّ في نوم عميق، فيجد الفرصة مواتية ليهجم على الغنم ويمزقها.

والكاهن الساهر لا يدع كنيسته تُنقب، ولا يفرط في خروف واحد ولا في نعجة صغيرة. إنه يضع حياته مقابل أصغر غنمة!! إنه يغامر بحياته كلها لأنه يعلم أن حياته محفوظة ومؤمَّن عليها في السموات. فلو ضيَّع حياته هنا من أجل المسيح فسيأخذها منه هناك مكللة بالمجد، ولكنه إذا غطى وجهه ونام وضحى بالغنمة ليخلِّص حياته وينجو بنفسه من الخطر، فقد أهلك روحه وأسلمها لدينونة بلا رحمة وألبسها العار والخزي الأبدي.

فالكاهن أو الخادم هو حارس غنم قبل أن يكون واعظاً أو معلماً!! ومن يده سيُطلب الضائع، وعليه دم القتيل!!

١٠- عثرة التحلل من الأصوام:

البطن المملوة بالأطعمة المزدحمة بالمشتهيات لا تلد بنين روحيين.

الصوم والصلاة هما آلام المخاض الروحاني للراعي، اللذين بواسطتهما يتصوَّر المسيح في أولاده الجدد «يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم... في تعب وكد، في أسهار مراراً كثيرة، في جوع وعطش، في أصوام مراراً كثيرة» (غل٤: ١٩؛ ٢كو١١: ٢٧).

إذا زيَّن الإنسان هيكل قلبه بالصوم والصلاة، تأهَّل لسكنى الروح القدس، وحينئذ تفقد البطن سلطانها على الإنسان، وإذا زيَّن بطنه سكنتها الشهوة وتسلطت عليها كإله «الذين إلههم بطنهم» (في٣: ١٩).

الراعي أو الخادم الذي لا يمارس الأصوام والتقشفات بحدودها المقررة، عن نفسه وعن خدمته ورعيته، فإنه يسقط من مرتبته الروحية ولا يستطيع أن يبقى أميناً لتدبيرات الكنيسة وقوانينها، بل تجده دائم التبرم من أنظمة الكنيسة ويهاجم تقليداتها وبالأخص من جهة أصوامها. وهذا الصنف من المتذمرين والمتململين قديم في الكنيسة: «وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه، وأعرضوا عنهم لأن **مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم**» (رو١٦: ١٧، ١٨).

ومعلوم منذ البدء ومستقر لدى الآباء بالخبرة النسكية التي لا تحتمل الشك، أنك إذا أردت أن تبتدئ بأية فضيلة أو أي عمل روحاني أو أي خدمة لائقة بالرب فابتدئ بالصوم!

فإذا تحلل الراعي أو الخادم من الصوم كدستور دائم له ولرعيته، فإنه دون أن يدري ودون أن يلاحظ، تتحول خدمته الروحية إلى مجرد خدمة اجتماعية، تنحل بالتدريج لتتحول في النهاية إلى نشاطات إنسانية، يعمها التهريج والمظاهر والحفلات، ولا يبقى لها من الروح إلا الخطب والألفاظ وبعض الآيات من الإنجيل تُحشر حشراً لإسكات «المتطفلين»!

١١- عثرة الطهارة:

ما أحلى رائحتك أيها الكاهن الذي فطم نفسه عن الشهوة[٣]،

تفوح منك يا أخي رائحة البتول بل رائحة المسيح الزكية لله،

كل من يتنسم رائحتك يحس بالطهارة وقوة الخلود تسري في أحشائه،

آه من منظر عينيك الذابلتين المرتسم عليهما وجه العذراء، بل وجه الله،

بريق الخلود يشع منهما فيبدد الشهوة من قلوب ناظريك،

لماذا تتكلم كثيراً أيها الطاهر البتول؟ إن منظرك عظة، ووقوفك رجاء، وجلوسك سلام وابتسامتك بهجة، ودموعك تحل الخطية من الأعضاء!!

انظر يا أخي أن لا تخور في جهادك، فإكليلك يتلألأ فوق رأسك محمولاً على أيدي ملاك ومكتوب عليه: هنا صبر القديسين!!

أنت لست وحدك، معك مجاهدون يؤازرونك بالدموع. وتنهُّدك

---

(٣) من تقاليد الكهنوت الموروثة - عرفياً - في الكنيسة التي ظلت سارية إلى عهد قريب جداً، وربما لا يزال كثيرون يحافظون عليها حتى وقتنا الحاضر، أن الكاهن الذي ربى أولاده ودُعي للكهنوت، يكف نهائياً عن مباشراته الجنسية.

وإليك تقرير من المؤرخ سقراط:

[في الشرق، كل الكهنة وحتى الأساقفة أنفسهم يتعففون عن زوجاتهم. ولكن ذلك يفعلونه بمحض اختيارهم، إذ ليس هناك أي قانون يلزمهم بذلك كضرورة. إذ أنه كان بينهم أساقفة كثيرون الذين كان لهم أطفال من زوجاتهم الشرعيات خلال فترة أسقفياتهم.]

Socrates, *Hist. Eccl.*, v. 22.

تضج له الملائكة في السموات، آلامك محبوبة وأنينك نغم يلذذ أرواح الأبرار.

تقوَّ وتشدد ليتقوى بك المنتظرون الخلاص علانية.

حينما ربط المسيح حالة العين بالجسد كله قائلاً «إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيِّراً» (مت٦: ٢٢)، أوضح لنا من أين ينبغي للراعي أو الخادم أن يبدأ جهاده مع نفسه ويلزم طهارته حرصاً على طهارة الخدمة. فالعين إما تنصبغ بدم المسيح فتغتسل وتتطهر وتتقدس فيشع منها نور المسيح، وحينئذ يصبح العقل والجسد جميعاً هيكلاً منيراً للروح القدس لا خوف منه ولا خوف عليه، وإما تنصبغ العين بالشهوة فيصبح الجسد منقاداً للشيطان لا في شهوات نجسة وحسب بل وفي كل خطية وطموح واستهزاء وصخب ويصبح خطراً في كل وقت وعلى كل بيت! ويصبح للكاهن وللخادم قدرة أن يسلب الأجواء رزانتها ويحط من مستوى العفة كلما نظر وكلما ضحك.

الكاهن الذي جرح عفة عينيه لا يملك ولا يستطيع أن يكون رقيباً على قطيعه، تتغامز عليه غنماته وتتعاهد التقيات منهن أن يقمن بالرقابة عليه والصلاة والصوم من أجله!!

آه، يا حسرة على الراعي الذي فقد عفته، ألا يكون قد فقد وظيفته؟

خطايا كل الناس تتبعهم، أما خطايا الكاهن والخادم فتتقدمه.

فجسامة الخطية تتعاظم بقدر جسامة الخدمة، ورائحة النجاسة لا تخفيها رائحة البخور والعطور.

وعين الزاني مرسوم عليها الضحية تحكي مأساة دينونة رهيبة آتية!!!

- «(عظ) العجائز **كأمهات** والحدثات **كأخوات بكل طهارة**» (١تي٥: ١).
- «**احفظ نفسك طاهراً**» (١تي ٥: ٢٢).

١٢- عثرة العلم:

ليس عيباً على الكاهن أو الخادم أن يكون غير ملم بأصول العلوم الطبيعية من طب وهندسة وفلك، ولو أن مدرسة الإسكندرية اللاهوتية كانت تعتني أيضاً بهذه العلوم قديماً، ولكن عار على الكاهن أو الخادم أن يكون جاهلاً بعلوم الكنيسة. فكيف يوصِّل رسالة الإيمان والعقيدة السليمة بغيرة وعزيمة وإخلاص وهو لم يدرس تاريخ الكنيسة، ولم يتعرف على نضالها الطويل المضني للحفاظ على سلامة العقيدة الإيمانية ضد التعاليم المضلة والخاطئة؟

فلو عرفنا أن **كل كلمة وردت في قانون الإيمان تحمل ذكرى جهاد وعرق ودم وأسماء شهداء ومعترفين ومعارك إيمانية دامت سنين وقرون**، لاستطعنا أن ندرك أن قانون الإيمان مرتبط بتاريخ الكنيسة وأن لا غنى إطلاقاً للإيمان عن الدراسة والسهر والتحصيل!!

وكذلك **شرح الكتاب المقدس بالتالي مرتبط بالعقيدة** ويتوقف على نوع المدرسة الفكرية التي يتثقف بها الكارز يومياً. فإذا لم يبنِ الكاهن أو الخادم معرفته وفهمه كل يوم على دراسة دائمة للأصول الآبائية السليمة ويكون أساسه اللاهوتي راسخاً على دقائق العقيدة يتصحح به وينمو كل يوم، فهو لن يستطيع أن يتلمذ شعبه للحق ولن يبني جيلاً على الإيمان والعقيدة السليمة.

إهمال الكاهن والكارز للدراسات الآبائية أو جهله بها كفيل على مدى الزمن بتكوين فاصل كبير وخطير يفصل الرعية عن تراث الكنيسة الفكري التقليدي، فيشب الجيل غير مستسيغ لترتيبات الكنيسة وتقليدها، كثير النقد لها بسبب جهله بأصولها الروحية.

- «اعكف على القراءة... لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك، لأنك إذا فعلت هذا تخلِّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً» (١تي٤: ١٣، ١٦).

١٣- عثرة عدم اتساع القلب وطول الأناة:

طول الأناة التي يطلبها بولس الرسول هنا للخادم، هي طول الروح أو طول النَفَس وكأن الخادم يجري في ميدان طويل، **وهي صفة لا يمكن أن يحصل عليها الكاهن أو الخادم إلا إذا اعتبر نفسه يركض كمسخَّر لخدمة أولاد سيده، لا يملك أن يمتنع عن خدمتهم لأي سبب من الأسباب.** هذا يحدث عندما يتنازل الكاهن عن إحساسه بذاته وإحساسه بحريته الشخصية في الخدمة، ويتيقن أنه يعمل تحت سلطان سيده المسيح، وحينئذ يبتدئ **يحصل على طول الروح ويتأنى على الخطاة والمستهترين والمسيئين كمكلَّف ومأمور بذلك**، ولا يقطع الأمل قط من إنسان ما حتى إلى لحظة الموت. لأن ذلك معناه قطع الأمل من نفسه أيضاً. وهكذا يظل يشعر أنه طالما الوقت يُدعى الوقت، فباب التوبة مفتوح، وإكليل الخلاص قائم ومستعد حتى لأشر الخطاة.

أما إذا فقد الكاهن أو الخادم طول أناته، فمعناه أنه ارتد إلى ذاته وتمسك بسلطان نفسه طارحاً عنه عبودية الخدمة الشريفة التي تحت سلطان السيد المسيح. فيبدأ يتصارع مع الخطاة لا كأولاد لسيده المسيح

بل كعبيد له، حيث لا ينتقم من عصيانهم لطاعة المسيح بل ينتقم من عصيانهم لكبريائه المجروحة. فتتحوَّل الخدمة الروحية إلى نقمة ذاتية، والبذل يتحول إلى تبذُّل، والمسكنة بالروح اللائقة بخدام الصليب تتحول إلى تهديد ووعيد.

وليس الكاهن الذي ينـــزوي ويترك الخدمة بسبب ضيق نفسه من خطايا المخدومين واستهتارهم بأقل خطراً من الذي يستبد بهم وينتقم لكرامته منهم، والذي يتخلى عن الرعية إنما هو بمثابة من يسلمها للشيطان.

لذلك فلا غنى قط عن طول الأناة، ولا سبيل إلى طول الأناة إلا بقبول الخدمة كسُخرة روحانية لا نملك الاستعفاء منها، ولا نملك السيادة عليها!!

١٤- عثرة انعدام اللطف:

يرى بولس الرسول أن قمة لطف الله معنا إنما تتركز لا في خلاصنا من الخطية بسفك دم ابنه، بل في تماديه فوق ذلك بمنحنا أن نجلس معه في السماويات. لأن الصفح والغفران إنما يقعان تحت باب الرحمة، ولكن الجلوس معه في السماء فهذا هو عين اللطف الفائق!! «أقامنا معه **وأجلسنا معه** في السماويات في المسيح يسوع **ليُظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف** علينا في المسيح يسوع» (أف٢: ٦، ٧).

والمسيح أيضاً بهذا المعنى كان لطيفاً غاية اللطف لأنه لم يكتفِ برسالة الصليب والآلام وحسب، بل كان **يجلس مع** الخطاة والفقراء والمَساكين ويأكل معهم!! فهو بذلك حدد لنا معنى من معاني الخدمة غاية في الأهمية، لا تقِل عن الصليب في حد ذاته. **فملاطفة نفوس الخطاة**

والمساكين والمرضى جزء لا يتجزأ من منهج الخلاص، وأساس نبني عليه الإيمان بشخص المسيح. **فلطف المسيح على الخطاة يستحيل أن ننقل صورته لهم إلا بلطفنا عليهم**، كذلك لطف المسيح علينا إن لم نمنحه نحن أيضاً للآخرين يتوقف منا وينحصر عنا.

على أنه يستحيل أن يوهب لكاهن أو خادم نصيب في الجلوس مع المسيح في ملكوته وهو لم يعتنِ هنا أن يجلس على مائدة الفقير أو يدعو المساكين والبؤساء للجلوس معه. لذلك نجد المسيح يربط ربطاً قوياً مباشراً بين زيارتنا للمرضى والمسجونين وملاطفتهم، وبين استقباله لنا في ملكوته على نفس المستوى.

فإذا خلت خدمة الكاهن أو الخادم من أعمال اللطف والإشفاق والحنو الصادق على الخطاة والمساكين والبؤساء، تكون قد خلت من أجمل ملامح صورة المسيح نفسه!!

١٥- عثرة الرياء في المحبة:

الخدمة مهما بلغت قوتها وغيرتها وفعاليتها، إذا خلت دوافعها من عنصر المحبة الصادقة نحو المخدومين، فإنها تفقد معناها وجوهرها الإلهي، فبحسب تقرير بولس الرسول في رسالته الأولى إلى كورنثوس نجد أنه ولو أُعطى الخادم التكلم لا بألسنة الناس فقط بل وحتى بألسنة الملائكة وكانت خدمته خالية من المحبة الصادقة لمن يخدمهم، فإن خدمته لا تتعدى في منفعتها رنين الأجراس الكبيرة في أعلى برج الكنيسة أو ضرب الدفوف في أيدي المرنمين أمام الهيكل، **شيئاً يُسمع ويذهب مع الريح!**

كما أنه لو أُعطى للخادم كل النبوة وكشف الأسرار وقوة إيمان مقتدر حتى على نقل الجبال، وكان الخادم فاقداً لعنصر المحبة الصادقة نحو

الذين يخدمهم ويتنبأ لهم ويعلمهم، فإن خدمته لا تعود تساوي شيئاً. بل ولو أُعطى للخادم من الغيرة ما يكفي لكي يهب الذين يخدمهم كل أمواله ويبذل جسده من أجلهم حتى يحترق، وكانت خدمته لهم خالية من المحبة الصادقة، فهو لن ينتفع من خدمته شيئاً!!

وهكذا يتضح لنا جداً أن **عنصر المحبة الصادقة نحو المخدومين، هو روح الخدمة** الأساسي وهو قوتها ومصدر حرارتها الذي منه يستمد الخادم نشاطه وعلى أساسه يكافَأ.

على أن **أي رياء في المحبة نحو المخدومين كفيل بأن يطوِّح بالخدمة كلها ويجعلها بلا ثمر** وبلا مكافأة، لأن إهانة المحبة إهانة للخدمة.

فالذي ينبغي أن ننتبه له غاية الانتباه هو أن الخدمة الروحية ليست واجباً وحسب ولا مجرد رسالة ولا مهمة رسمية، ولكنها **واجب محبة، ورسالة محبة، ومهمة محبة، وسُخرة محبة**، لم نقبلها إلا بسبب المحبة التي أحبنا بها المسيح أولاً فأسرنا واستعبدنا للطف محبته!! **فنحن نخدم الآخرين لأننا أسرى محبة المسيح**، وقد استعبدتنا محبته لنخدم بها وتخدم بنا، ونحن رضينا بهذه العبودية الرابحة فاستعبدنا أنفسنا لخدمة الآخرين كرامة لحبه: «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بيسوع المسيح رباً، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع» (٢كو٤: ٥).

أما أسرى المحبة الذين استعبدوا أنفسهم لخدمة الآخرين فلن يهمهم على الإطلاق أن ينالوا حباً من الآخرين بالقدر الذي يحبونهم به أو لا ينالوا، لأن **المحبة الإلهية المنسكبة في قلوبهم من نحو المخدومين تفيض عليهم من فوق ولا تستمد حرارتها من الناس الذين يخدمونهم ولا من ظروف خدمتهم**، وفي ذلك يقطع بولس الرسول بكل يقين وارتياح

قائلاً: «وأما أنا فبكل سرور أُنفق وأُنفَق لأجل أنفسكم، وإن كنت كلما أحبكم أكثر أُحَبُّ أقل، **فليكَن**» (٢كو١٢: ١٥و١٦).

١٦- عثرة الكلام المنافي للحق:

الكاهن أو الكارز لا ينطق كلاماً من نفسه بل يتكلم بما يقوله الله في قلبه حقاً، وما يسمعه ويعرفه منه بيقين في مخدعه وصلاته، لا عن ادعاء وتزييف كما يحاول بعض الخدام أن يقلدوا كلام أولاد الله كالأنبياء الكذبة.

هذه حقيقة لا تحتاج إلى برهان، فكل من يرسله الله ليتكلم باسم المسيح فهو يتكلم بفم المسيح، ويخدم بقوة المسيح ويفكر بفكر المسيح!

ليس شيء ما يُدعى حقاً في ذاته، لا قول ولا فكر ولا عمل، ولكن الحق هو الله في ذاته، وكل ما يصدر عن الله أو من الله فهو حق بالضرورة طالما هو كائن في الله غير منفصل عنه. لذلك فالمسيح هو الحق الكامل لأنه كلمة الله أو هو الله المستعلن لنا قولاً وفكراً وعملاً. فكل من كان في المسيح يسوع يعيش ويفكر ويتكلم به، فهو بالحق يعيش وبالحق يفكر وبالحق يتكلم، كأنه واقف أمام الله يكلم الله. هذا يوضحه بولس الرسول بيقين قائلاً: **لأننا لسنا كالكثيرين غاشين كلمة الله**، لكن كما من إخلاص بل كما **من الله نتكلم أمام الله** في المسيح» (٢كو٢: ١٧).

فالخادم الذي لا يتكلم بالحق روحياً أو يتحاشى أن يشهد للحق وهو يعرفه، هو بالحقيقة لا يخدم المسيح! ربما يخدم نفسه، أو ربما يخدم آخر، بل ربما يكون يخدم الشيطان دون أن يدري. **هذه ليست عثرة في الخدمة فحسب بل هي خدمة العثرة ذاتها!!** هنا تحوُّل خطير من معسكر

النور إلى معسكر الظلمة.

قد يتوهم الخادم أن قول الحقيقة أو الشهادة للحق قد يضر بمصلحة الخدمة، هذا وهمٌ وقصرُ نظر. فالتعليم بالحق لا يمكن أن يُعثر إلا غير المحبين للحق، غير الثابتين في الله. فالمسيح تكلم بالحق وشهد للحق ولم يَعثر فيه إلا المرفوضون!

ليس من الأمور السهلة أن يتكلم الخادم بالحق، لأن ثمن النطق بالحق ربما قد يصل إلى الموت. ولكن ليس الخادم في ذلك مختاراً، لأنه إذا لم ينطق بالحق فإنه يُحسب ميتاً من الآن حقاً ويقيناً!!

والكاهن أو الخادم ينطق بالحق لأنه يشعر أنه واقف أمام الله يتكلم باسم الله، فهو مقيد لا يستطيع أن ينطق إلا الحق كما يسمعه ويراه.

«إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا، لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا» (أع٤: ١٩و٢٠).

الفصل الثالث

الضرائب المستحقة على الخادم

للخدمة مجد، وللخدمة كرامة، فاسمها هنا على الأرض لدى الأتقياء وعشاق الإنجيل شيء محبوب ولذيذ يسلب القلب ويستهوي الإرادة.

فخادم الإنجيل سواء بزيِّه الرسمي الملائكي، أو بشكله العلماني البسيط، يتحرك بيننا كرسول رب الجنود تفوح منه رائحة المسيح أينما حل، كرامته تفوق كل كرامة على الأرض. فتيجان الملوك تنحني وتخضع وتسجد تحت اليد الحاملة الصليب. والإنجيل يحبذ هذه الكرامة ويطالبنا بها «أما الشيوخ (الكهنة) المدبِّرون (الإيغومانسيون) حسناً فليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة **ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم**» (١تى٥: ١٧). أما في السماء فتأخذ رتبة خدام المسيح أَوَج كرامتها ومجدها الفائق في ملكوت الله: «أنتم الذين ثبتـــوا معي في تجاربي وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً» (لو٢٢: ٢٨و٢٩).

ولكن ليس أحد ينال هذه الكرامة المضاعفة مجاناً، فإزاء المجد الذي ينتظر الخادم المجاهد الأمين ينبغي أن يدفع ضرائب باهظة في شكلها ومظهرها، فالعالم يفرض عقوبات وجزاءات وتأديبات مميتة على الذين يتحدُّونه وينكرون أمجاده الكاذبة ويستهينون بشهواته ولَهْوه ومسراته الجسدية والنفسانية. أما خدام البر والكارزون بالإنجيل فتُفرض عليهم ضرائب أثقل وأشد بسبب تزعُّمهم في فضح أكاذيب رئيس هذا العالم، وإثبات بطلان شهواته ومسراته وتسلياته، وبسبب اجترائهم على كشف خدعة الموت المندسَّة في صميم الخطيئة التي هي رأس مال الشيطان،

ولمداومتهم على تحذير الناس من الحرمان الأبدي الذي ينتظرهم من جهة الحياة مع الله بسبب مجاراتهم لآراء الأشرار.

فبقدر ما يعمل الخادم الأمين في تخليص الناس من الهلاك المنصوب أمامهم وإفساد خطط الشيطان، بقدر ما ينتقم منه رئيس هذا العالم.

لذلك فضريبة المسيحي الذي ينجو بنفسه نوع، وضريبة الذي يجول كل يوم يبحث عن السائرين في طريق الموت والهلاك الأبدي ويردهم إلى حضن الله نوع آخر. لذلك إذا أردنا أن نقارن خدمة بخدمة، أو نميز بين خادم أمين وخادم أمين آخر، فلا وسيلة لنا لمعرفة مقياس نقيس به قامات الخدام إلا بانتباهنا لنوع الضرائب التي يفرضها العالم على الخادم الأمين. فثقل الضريبة يكشف عن مدى نشاط الخادم وخطورته في نظر الشيطان، وهذا المبدأ نجده واضحاً في قول القديس بولس الرسول: «أهُمْ خدام المسيح؟ أقول كمختل العقل فأنا أفضل: في الأتعاب أكثر في الضربات أوفر، في السجون أكثر» (٢كو١١: ٢٣).

وضرائب الخدمة شخصية ونوعية. فالشخصية هي التي يُنتجها الشيطان لتصيب الخادم في شخصه، كمحاولة لتعطيل الخدمة كلها جملة واحدة، كأن يصاب بمرض مؤلم عسير الشفاء، كالذي حدث لبولس الرسول: «ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات أُعطِيتُ شوكة في الجسد، ملاك الشيطان، ليلطمني لئلا أرتفع» (٢كو١٢: ٧).

أما الضرائب النوعية التي يتحتم على الخادم أن يكون مستعداً لدفعها فهي تأتي من ثلاثة مصادر:

المصدر الأول: الإثارة التي يفتعلها الشيطان في نفوس الناس من كل صنف لمقاومة الخدمة، فهو يستخدم الرؤساء والزملاء والأصدقاء

والأعداء على حد سواء، فيثير **الأحقاد والحسد والبُغضة والوشاية والوقيعة، إما سافرة كحرب علنية وإما في صورة نقد وافتراء لتشويه عمل الخادم والنَيْل من سمعته أو إيمانه أو طهارته أو تقواه.**

وهنا يواجه الخادم حرباً مُرَّة خبيثة ذات أسلحة شيطانية مُهلكة يستحيل عليه أن يخوضها بإمكانياته الشخصية، بل إن مجرد الانتباه الفكري أو التركيز الوجداني في هذه المقاومات كفيل أن يُفقد الخادم هدوءه وسلامه، وبالتالي يوقعه في القلق والحزن والاضطراب، وفي النهاية تتعطل الخدمة الإيجابية تماماً، إذ تتحول مجهودات الخادم إلى صراع نفساني يدور كله حول الذات وكرامتها.

وهنا ينبهنا بولس الرسول إلى السلاح الفعال الذي ينبغي للخادم أن يتمرن عليه لمثل هذه الحروب: «في قوة الله، بسلاح البر لليمين ولليسار» (٢كو٦: ٧)، **فاليمين بالنسبة لسلاح البر هو المناداة بالكلمة لتبكيت الخطاة وتعزية التائبين، أما اليسار بالنسبة لسلاح البر فهو انتخاب الأقوال اللطيفة اللينة لإسكات ألسنة الأعداء وقطع خط الرجعة على المفترين والمنتقدين:** «نُشتم فنبارك، نُضطهد فنحتمل، يُفترى علينا فنعظ» (١كو٤: ١٢و١٣). **وكل ذلك على أساس أننا قبلنا الإهانة والاضطهاد والافتراء قبولاً كاملاً بسرور كضريبة واجبة الدفع في الحال:** «أنتم مكرَّمون أما نحن فبلا كرامة» (١كو٤: ١٠) «كمُضلِّين ونحن صادقون» (٢كو٦: ٨).

المصدر الثاني: الإثارة التي يفتعلها الشيطان في فكر الخادم وفي نفسه وجسده محاولاً إفساد اتزان رأيه وعمله وسلوكه عن طريق **إثارة غرائزه الطبيعية من شهوة وغضب، وحب وبغضة، وأمل ويأس، وطموح**

وانحصار، وذلك ليشككه في صلاحيته أو لياقته للخدمة أو ليشككه في دعوته كلها جملة ومرة واحدة، وذلك بأن يضع أمام عينيه باستمرار عثراته وضعفاته ويثقّل على ضميره حتى يبلغ به حافة اليأس.

هنا أيضاً ينبهنا بولس الرسول إلى ضرورة استخدام سلاح البر لليسار، ليقطع الخادم بكلمة الوعد كل وساوس الشيطان وهياجه داخل الجسد الترابي: «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا... ولكن لنا هذا الكنز (الكرازة بالمسيح) في أوانٍ خزفية (الجسد) ليكون فضل القوة لله لا منا، مكتئبين في كل شيء (مضغوطين من كل جهة، من الخارج إلى الداخل) لكن غير متضايقين (محصورين)، متحيرين لكن غير يائسين، مطروحين لكن غير هالكين، حاملين (بسبب الغرائز والانفعالات الميتة) **في الجسد** كل حين إماتة يسوع لكي تُظهر حياة يسوع أيضاً **في جسدنا**، لأننا نحن الأحياء نُسلَّم (بواسطة الشيطان) دائماً للموت (كل النهار) من أجل يسوع لكي تُظهَر حياة يسوع أيضاً في **جسدنا المائت** (أو الذي مات بسبب الخطية)» (٢كو٤: ٥، ٧-١١).

وكل ذلك على أساس أننا قبلنا كل تحديات الشيطان، صابرين، محتملين كل تعاذيبه التي يلقي بثقلها على عقلنا وعواطفنا وغرائزنا وكل حواسنا، كضريبة واجبة الدفع لحساب رب الرعية مباشرة، متذكرين باحتراس شديد قول المسيح الذي كشف به حيلة الشيطان في هذه المجالات: «أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية» (مت٢٦: ٣١)!

المصدر الثالث: الإثارة التي يفتعلها الشيطان في الطبيعة ليتخذ منها سلاحاً مؤلماً يحارب به الخادم أينما سار وأينما حل، فيثير العواصف ويهيج البحار ويثير الوحوش والحشرات والميكروبات والأخطار والحركات المريبة

في الظلام، **ليُفزع قلب الخادم ويُرعبه حتى تكلّ عزيمته ويتشكك في معونة الله ورحمته.** وهذه الحروب كانت من أبرز المحاربات الشيطانية التي واجهها بولس الرسول وغيره من الآباء والخدام في كل مكان وزمان «ثلاث مرات انكسرت بي السفينة، ليلاً ونهاراً قضيت في العمق... بأخطار سيول، بأخطار في المدينة، بأخطار في البرية، بأخطار في البحر... في جوع وعطش، في برد وعُري» (٢كو١١: ٢٥-٢٧).

هذه كلها تحديات سافرة للشيطان لا يتورَّع أن يجمعها كلها مرة واحدة في أقل وقت، وخصوصاً في بدء حياة الخادم، حتى ينهي عليه قبل أن يتشدد ويتعرف على حيله وتفاهته «لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو٢: ١١)!

فالخادم الحكيم يضع نصب عينيه منذ أول كلمة وأول خطوة أنه قادم على دفع ضرائب من هذا النوع باهظة وبلا عدد، ولكنها تهون كلها إزاء المعونات الهائلة التي يستمدها من الروح القدس أثناءها وبعدها!

وهذا كله يضع أمامنا خريطة روحانية دقيقة، حتى إذا فحصنا على ضوئها خدمتنا بأمانة وصدق، يمكننا أن نحدد موقعنا من الخدمة.

فقبل كل شيء نسأل: هل قد تحددت علينا الضريبة المستحقة على الخادم الأمين أم لا؟ وما هو نوع الضريبة، هل هو يتعلق بصميم التعليم والمبادئ أو يتعلق بالنفس في الداخل الذي يُعتبر أثقل الضرائب وأخطرها وأفدحها ثمناً؟ أم يتعلق بالنشاط الخارجي المتسع.

على أننا غير مخـيَّـرين جميعاً من جهة قبول هذه الضرائب، إذ يتحتم دفعها ونحن صاغرون، أولاً بأول، كما تُفرض علينا تماماً، سواء دفعة واحدة أو على أقساط طويلة الأجل، دون أن نهتز أو نتذمر، يدنا ممسكة بالمحراث في استماتة ووجهنا مصوَّب نحو السماء. لأن أية

محاولة للإفلات من الضريبة يضعنا في موضع الهاربين من الطريق الضيق المختلسين للمجد السماوي!

علماً بأن مظهر الخادم وهو منحنٍ أمام عنف الأشرار وطغيان السلطان يدفع الضريبة المستحقة عليه أولاً بأول، بصبر وبدون شكوى أو تذمر، يُسجَّل عليه في نظر العالم كحالة «ضعف»! ولكن مرحباً مرحباً بهذا الضعف الذي من خلاله يتسجل لنا نصيبنا السماوي في المجد «من جهة هذا (اختطافه إلى الفردوس) أفتخر. ولكن من جهة نفسي لا أفتخر إلا بضعفاتي» (٢كو١٢: ٥). وما أروع هذا الضعف الضريبي الذي دفعه المسيح قبلنا دون أن تفلت يده من على المحراث حتى الموت: «لأنه... صُلب من ضعف» (٢كو١٣: ٤)، حتى أن بولس الرسول سماه «ضعف الله» (١كو١: ٢٥)!!!

الفصل الرابع

أفــراح الخـــادم

«فرح الرب هو قوتكم» (نح ٨: ١٠)

١- فرح صديق العريس:

«أما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي هذا قد كمل» (يو ٣: ٢٩).

في الأفراح الشعبية حينما يزفون العريس في المدينة يخرج أصدقاء العريس ويتقدمونه في الطريق راكبين الخيول أو الدراجات البخارية في موكب مبهج جداً بالزمر وأصوات النفير، ووجوههم تطفح بالبشر والفرح.

يوحنا المعمدان تعيَّن من السماء ليكون أول من يتقدم العريس ليعد الطريق في بطن الزمان، بصوت وصراخ. وحينما أكمل الشوط ظهر العريس مُعلناً اكتمال الزمان وبدء السنة المقبولة، فكان هذا الظهور أسعد مراحل جهاد يوحنا، وحينما بلغ يوحنا صوت العريس قال: «إذاً فرحي هذا قد كمُل».

ولكن بظهور المسيح أُعلن الباب والطريق والعروس معاً، العريس الآن مع العروس في خباءة الكنيسة. وسر الفرح قد ملأ أهل البيت. **الكاهن والخادم في العهد الجديد ليس هو فقط صديق العريس الفرحان لصوت العريس، كأنه يُعد الطريق أمامه حتى يبلغ بيت العروس ثم ينسحب، بل إن الخادم في العهد الجديد هو أيضاً موضوع فرح**

العريس نفسه لأنه ممثل عن العروس وجزء منها بآن واحد.

الكاهن والخادم **شريك** في فرح العريس بعروسه!! الخادم **يفرح للعريس ويفرح مع العريس!**

خدمة العريس كلها فرح، كلها بهجة، كلها سرور، وبالأكثر جداً حينما يكون الخدام هم أنفسهم شركاء العرس مع العريس ومع العروس!

خدام العريس خدام إكليل وهم أصحابه، لا يحزنون ولا يكتئبون قط، لئلا يهينوا العريس. العريس حاضر معنا في الكنيسة غير مرفوع من بيننا أبداً «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠).

العريس يطل على الكنيسة بصورة دائمة حقيقية وسرية «عندكم الآن حزن (ساعة الصلب) ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينـــزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦: ٢٢). وفعلاً ظهر المسيح بعد القيامة ورآه **التلاميذ ففرحوا فرحاً كان هو هو جوهر الإنجيل** كله، لأنهم انطلقوا في فرحة الرؤيا يبشرون بالبشارة المفرحة، أي يكرزون بالمسيح العريس الحي المنظور!

ويعود بطرس يُطمئن أعيننا الطامحة لمثل هذه الرؤيا الحسية بقوله: «الذي وإن كنتم لا ترونه الآن، لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد» (١بط ١: ٨).

العهد القديم كله كان ينتظر هذه البشارة المفرحة، بشارة الخلاص والرجاء، فطوَّب خدامها: «ما أحلى أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات» (رو ١٠: ١٥، إش ٥٢: ٧).

إن قوة الكاهن في كرازته وقوة الخادم في تعليمه هي فرحة بالعريس، لأن الفرح بالله هو الإنجيل، والإنجيل هو الفرح بالله.

٢- الفرح بتوبة الخطاة:

من الأمور المدهشة والمحيرة للعقل ما عرفناه عن العلاقة الروحية الحميمة التي تربط أرواح القديسين والملائكة في السماء بالخطاة الذين يتوبون على الأرض: «هكذا يكون فرح في السماء بخاطيء واحد يتوب» (لو ١٥: ٧).

إنه فرح روحاني فائق للعقل، فرح المصير الواحد الأبدي وبهجة الشركة في الحياة مع المسيح!

آه من هذا المسيح العجيب الذي ربط السمائيين بالأرضيين، ووحَّد وصالح الروح مع الجسد، ورفع العداوة، وجعل الاثنين واحداً.

ولكن الذي يدهشني ويحيرني جداً، **كيف لا يستمتع الكاهن والخادم بهذا الفرح ويشترك فيه ويعيش به ويتغذى عليه «إن فرحي هو فرح جميعكم»** (٢كو ٢: ٣)، **أليس الكاهن أو الخادم هو الذي يسوق الخطاة إلى التوبة ويفتح أمامهم باب السماء، أي أنه هو الذي يتسبب في فرح السماء كلها؟**

إنها مشكلة ومعضلة، عسيرة الحل أمامي، عندما أرى كاهناً حزيناً يائساً يمارس خدمته بالغم، أو خادماً مُعبساً يشرح الخلاص للخطاة وهو مُكتئب؟

ألا يصلح موضوع فرح السماء كلها أن يكون موضوعاً لفرحنا؟

هل يمكن أن يزف الأهل العروسة لعريسها وهم ينوحون ويلطمون؟

هل يمكن أن يُغيِّر الإنجيل صفته أو اسمه؟ أليس هو البشارة المفرحة؟ مفرحة للخاطئ والبار، للخادم والمخدوم؟ أليست هي مُفرحة للسماء كلها؟

- «وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم و لم يحبُّوا حياتهم حتى الموت. **من أجل هذا افرحي أيتها السموات والساكنون فيها**» (رؤ ١٢: ١١، ١٢).

٣- الفرح بالقوة المستمدة من الكلمة:

يمكن تعريف الخدمة بصورة مبدئية أنها قيادة الخطاة إلى التوبة، ولكن حقيقة الخدمة وغايتها العظمى هي توصيل الفرح بالمسيح إلى قلوب الناس. **فإذا لم يبلغ الخاطئ إلى الفرح بالمسيح الذي يُغنيه عن كل شيء في العالم، فهذا يكشف عن قصور خطير في مفهوم الخدمة وفي إمكانية الخادم.**

كل رأسمال الخادم يتركز في إمكانيته الحصول على قوة متجددة من القراءة والتأمل، وعلامة الحصول على هذه القوة هو الفرح الذي ينسكب في القلب بغزارة وفيض من القراءة واكتشاف صوت الله من خلال الآيات والوصايا.

الكاهن والخادم المتهلل الفرحان الذي تجري الكلمة بمعانيها الحية على لسانه بسهولة ولذة وسرور، هو صورة حية صادقة وأمينة للإنجيل أي البشارة المفرحة!

٤- الفرح بازدياد الآخرين:

«ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو ٣: ٣٠).

إن عمل الخادم الأساسي أو صفته الأولى هي أنه يعطي ويعطي باستمرار وبلا ملل أو بُخل، وبلا قيد أو شرط. يعطي للضعيف ليزداد قوة، وللقوي ليزداد ثباتاً. يعطي للصديق والغريب والعدو، يعطي بلا محاباة ولا تمييز، من عمله وخبرته وماله وروحه.

فإذا كان عطاء الكاهن أو الخادم عطاء من الله صحيحاً ومخلصاً، تكون علامته أن الخادم يفرح بازدياد الآخرين حتى ولو كان على أساس نقصانه هو! والمسيح غبط العطاء والحب الصالح عندما يكون بلا نية لاسترداد الثمن أو الجزاء المساوي!

الكاهن أو الخادم الذي يعطي باحتراس وشحٍّ خوفاً من تسرب معلوماته أو خوفاً من تفوُّق الآخرين عليه، يستحيل أن يفرح بالعطاء ويستحيل أن يفرح بازدياد الآخرين؛ هو تاجر معلومات وعلم أكثر منه خادم خلاص ومجد.

- «وأما أنا فبكل سرور أُنفق وأُنفَق لأجل أنفسكم - حتى - وإن كنت كلما أحبكم أكثر أُحَبُّ أَقل، فليكن» (٢كو ١٢: ١٥، ١٦).

٥- الفرح بالدعوة لخدمة يسوع المسيح:

حينما يؤكد بولس الرسول بقوله: «صادقة هي الكلمة إن ابتغى أحد الأسقفية (أي افتقاد المؤمنين وتدبير الكنيسة) فيشتهي عملاً صالحاً» (١تي ٣: ١)، يريد أن يوضح أمامنا أن **الخدمة هي بحد ذاتها عمل**

صالح. فإذا اشتهيناها على أساس ذلك أي أنها عمل وعمل ثم عمل، فهذا صالح. أما إذا اشتهينا الخدمة دون أن يكون في أساس فكرنا وضميرنا أننا سنعمل الصالح أو الصلاح، فهذه الشهوة تكون باطلة وميتة.

ولكن الذي نود أن نتأمله من هذه الآية المقدسة هو أن عمل الخدمة أو عمل التدبير في الكنيسة هو أمر شهي، هو شيء يُحَبُّ ويُشتاق إليه من كل القلب، لأنه متعلق بخدمة يسوع شخصياً. ويسوع نحن نحبه، ونحبه فوق الطاقة وفوق العقل، حتى حدود الموت تماماً، والموت أيضاً لا يمكن أن يفصلنا عن حبه. وهو يفرح بحبنا له ويطالبنا به، لأننا في ذلك نحن الرابحون. والمسيح وضع علامة لبرهان صدق حبنا له، وهذه العلامة هي استعدادنا بفرح أن نخدمه ونرعى غنمه «أتحبني؟ ارعَ غنمي!» (يو ٢١: ١٦).

فأي إنسان يُدعَى لخدمة اسم المسيح سواء من نفسه بسبب شهوة حبه للمسيح، أو بسبب اضطرار الله أو الآخرين له ورضوخه لهذا الاضطرار بسبب حبه المتأصل في قلبه من نحو المسيح، فبمجرد أن يدخل هذا الإنسان تحت نير الخدمة بداعي هذا الحب، فإن الله يختم على دعوته أنها صادقة وأمينة ويُدخله في سر الفرح الإلهي «اُدخل إلى فرح سيدك» (متى ٢٥: ٢٣).

ولو تمعنَّا دائماً في القيمة الروحية المتحصلة من الخدمة ومقدار المجد العائد على المسيح من كل قول وعمل يؤول إلى خلاص الناس من عبودية الشيطان، لأدركنا في الحال أن فرح الخادم بالخدمة لا يعلو ولا

ينبغي أن يعلو عليه أي فرح في هذا الزمان، **لأن خلاص إنسان واحد يتحصل منه مجد للمسيح في السماء أفضل من ألوف تسبيحات لآلاف ملائكة!**

«فماذا؟ غير أنه على كل وجه سواء كان بعِلّة أم بحق يُنادَى بالمسيح وبهذا أنا أفرح بل سأفرح أيضاً لأني أعلم أن هذا يؤول إلى خلاص!» (في ١: ١٨، ١٩).

٦- الفرح بسر الآلام:

ليس كل من يتألم يستطيع أن يتذوق الفرح المتولد من الآلام.

بل إنه يبدو لكثيرين كأنه أمر غير معقول. لأن الألم والفرح من وجهة النظر الطبيعية نقيضان. ولكننا نقول إنه سر! والسر دائماً يفوق الطبيعة، نحن هنا نكرر ونتكلم عن سر الفرح في سر الألم!

الكاهن أو الخادم هو أولاً وقبل كل شيء خادم لسر آلام المسيح.

لا يستطيع أحد أن يكرز بسر آلام المسيح دون أن يكون شريكاً في هذا السر: «أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١كو ١: ٩). إن شركة حياتنا مع المسيح هي قائمة وتقوم على سر آلامه، وسر آلامه يقوم مسبقاً على سر فرحه «الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي» (عب ١٢: ٢). شركة الحياة بين صديقين أو بين عروس وعريس، معناها تبادل الأحزان والأفراح وكشف أعماق أسرار القلب.

الرب لا يكشف سر آلامه إلا لأحبائه الأخصاء جداً الذين يجد فيهم

راحة لقلبه، هؤلاء يستودعهم سر آلامه لا بالكلام ولا بالمعرفة ولا بالكتابة ولا بالخطابة، ولكن بأن يهبهم جزءاً أو نصيباً مماثلاً لآلامه يتناسب مع الفرح والمجد الذي ينتظرهم: «لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله» (في ١: ٢٩). وهل يمكن أن تشترك العروس في أفراح عريسها دون أن تشترك في صميم آلامه؟ وأي صديق يحب صديقاً إن هو استعفى من الاشتراك في صميم آلام صديقه؟

الرب يهبنا الآن شركة عملية في سر آلامه، لأنه يستحيل بدونها أن نحصل على سر الفرح الأبدي فيه، الذي نسبق ونتذوقه منذ الآن.

كل كاهن أو خادم يحيا في شركة أمينة مع المسيح يستحيل أن يذوق أفراح الرب خلواً من آلامه، ولا يوهب نصيباً في آلام الرب دون أن يسعد بنصيب معه في سروره.

إذا غاب الفرح عن القلب المتألم، كان ذلك برهاناً على غياب وجه العريس. حضور المسيح يعطي للألم مذاقة أخرى، وصورة المسيح مكللاً بالشوك وهو يلفظ النَفس الأخير كفيلة أن تمزج آلامنا بفرح ما بعد الصليب.

الكاهن أو الخادم الذي توطدت له صلات المحبة الصادقة بشخص الرب، ودخل معه في عهد عشرة صادقة؛ لا تعود حياته يحياها لنفسه، فكل دقائق حياته تدخل في دائرة حياة المسيح. فكما تصبح آلام المسيح كلها آلامه، كذلك تصبح كل آلامه هي آلام المسيح، وكأنما يكمل مع بولس الرسول كل يوم نقائص شدائد المسيح في جسده. لذلك فإن بلوغ

الكاهن أو الخادم إلى يقين حياة التسليم ينقل حياته كلها برمتها من دائرة الجسد إلى دائرة الروح. وحينئذ تسمو كافة آلامه – من أعظمها إلى أصغرها، من تهديد الموت إلى أصغر مرض أو أصغر جرح – إلى مستوى الذبيحة المقدمة – إلى مستوى الصليب – فلا يملك حينئذ أن يقدم في آلامه إلا مزيداً من الشكر والتهليل، إذ حُسب أميناً على سر العريس وشريكاً لآلامه الظاهرة والباطنة.

إن آلام الكاهن والخادم تتقدس دائماً في آلام المسيح، **هنا سر الفرح!**